المحاضرة الأولى: مفاهيم عامة حول الشعرية

عناصر المحاضرة:

1/تمهيد

2/مصطلح الشعرية في اللغة والاصطلاح

3/الشعرية في الفكر القديم

4/الشعرية في الدراسات النقدية والأدبية الحديثة

1/توطئة:

لم يكن الحقل الأدبي بعيدا عن الثورة المعرفية التي عرفتها العلوم أواخر القرن التاسع عشر، وساد الانطباع بأن الدراسات البلاغية والانطباعية لا تفيان بغايات الدراسات الأدبية، بالإضافة إلى الصدى الذي أحدثه مشروع العالم اللغوي "دي سوسير"(Ferdinand de Saussure) حين ميّز بين اللغة والكلام واللسان، والقول باعتباطية العلامة اللغوية، إيذانا بظهور مفهوم الشّعرية كوظيفة لسانية، غيّرت من طبيعة الرؤية إلى ما هو أدبي وما هو غير أدبي. فما هي الشّعرية؟

2/الشعرية في اللغة والاصطلاح

وإذا كانت هذه النقلة المعرفية في المجال الأدبي واللساني بالخصوص، هي الخلفية العلمية والفكرية التي انبثق منها مفهوم الشعرية، فإن خلفيته الاصطلاحية واللغوية أنها مصطلح لساني يوناني(poetic)، يتكون من ثلاث وحدات لغوية:(poeim) وهي وحدة معجمية تعني في اللاتينية الشعر أو القصيدة، واللاحقة (ic) وهي وحدة مرفولوجية (morpheme) تدل على

النسبة وتشير إلى الجانب العلمي لهذا الحقل. وقد حاول النقاد العرب المحدثين نقل هذا المصطلح، في صورته الحديثة إلى النقد العربي، فاختلفوا في تسميته بين: الشّعرية، الأدبية، الإنشائية، الشاعرية، بويطيقا، بويتيك....

وأما المصطلح كمفهوم نقدي ولساني في الدرس الأدبي الحديث، فهو المفهوم الذي يعالج الوظيفة الشعرية من بين الوظائف الأخرى في نص ما، أي أنها تهتم بالوظيفة الشعرية في النصوص الشعرية والأدبية، بحثا عما يجعل منها شعرية وأدبية.

من هنا تكون الشّعرية محاولة لبسط الصرامة العلمية في الحقل الأدبي، من خلال البحث عن قوانين للخطاب الأدبي أو الشعري، إنّها حقل همّه الوحيد إيجاد "إجماع جمالي"، أو لقاءات ممكنة بين المفاصل الجمالية التي تشكل جسد النص، لا على اعتبار هذا الأخير واقعة منجزة بل بالبنى المجرّدة للأدب؛ أي أن حقل اشتغال الشّعرية ليس العمل الموجود أو ما وجد سابقا، بل بالخطاب الأدبي نفسه، يقول "تدوروف"(T. Todorov):"ليس العمل الأدبي في حد ذاته هو موضوع **الشّعرية**، فما تستنطقه هو خصائص هذا الخطاب النوعي الذي هو الخطاب الأدبي." ، ولعل المقصود بخصائص الخطاب هي تلك العناصر الداخلية الموجودة في العمل الأدبي، والتي بها يتميز الأدبي عن غير الأدبي، وبفضلها أمكن وضع علم للأدب، يسعى لمعرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة أي عمل أدبي **" فالشّعرية** إذن مقاربة للأدب "مجردة" و"باطنية" في الآن نفسه" بمفهوم تدوروف.

ويحمل مصطلح الشّعرية مفهوما آخر؛ وهو مجموع الاختيارات التي ينتهجها الكاتب من مجموع الإمكانيات المتاحة له أدبيا، إذ يقول "دافيد فونيتن":

"تدل على مجموعة من الاختيارات المميزة التي يقوم بها الكاتب بوعي أوبغير وعي في نظام التأليف والأجناس والأسلوب والموضوعات"، فشّعرية المتنبي مثلا هو ما اختاره المتنبي في نصه وأدبه من مجموع القواعد الجمالية الأدبية المتاحة له.

2/ الشعرية في الفكر القديم

وتعود أصول هذا المصطلح الأولى إلى "أرسطو" وكتابه "فن الشعر"، والذي ترجمه العرب القدامى (أبو بشر متى بن يونس القنائي 328 هـ) إلى "أبويطيقا" ، أما في تراثنا العربي، فقد ورد المصطلح في كثير من نصوصه بدلالات مختلفة، ومن هذه النصوص:

- قول الفارابي:"والتوسع في العبارة بتكثير الألفاظ بعضها ببعض وترتيبها وتحسينها. فيبتدئ حين ذلك أن تحدث الخطبية أولا ثم **الشّعرية** قليلا قليلا".

- قول ابن سينا: "إن السبب المولد للشّعر في قوة الإنسان....وانبعثت **الشّعرية** منهم بحسب غريزة كل واحد منهم وقريحته في خاصته وبحسب خلقه وعادته".

- قول حازم القرطاجني:"وكذلك ظن هذا أن **الشّعرية** في الشّعر إنما هي نظم أي لفظ اتفق كيف اتفق نظمه وتضمينه أي غرض اتفق على أي صفة اتفق، لا يعتبر عنده في ذلك قانون ولا رسم موضوع.وإنما المعتبر عنده إجراء الكلام على الوزن والنفاذ به إلى قافية".

والملاحظ على المصطلح في النصوص التراثية، أنه لا يحمل مفهومه النقدي واللساني، ذلك أن الشعرية : " لم يعرفها العرب القدماء بمعناها الحديث، وإنما ترددت عندهم ألفاظ من قبيل، شاعرية، شعر شاعر، والقول الشعري،

والقول غير الشعري والأقاويل الشعرية، ثم ولج المصطلح في الدراسات الحديثة كعلم موضوعه الشعر، أو علم الأدب".

4/ الشعرية في الدرسات الأدبية والنقدية الحديثة

لقد كان الشّكلانيون الروس أول من نبّه إلى دراسة الأدب دراسة علمية داخلية في أواسط القرن العشرين، ذلك أن الدراسات المقاربة للأدب من قبل ، كانت تستند في معالجتها له إلى الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ وعلم الجمال، فأخذت الشكلانية الروسية على عاتقها توسيع الدرس اللساني ليشمل الدرس الأدبي، هادفين إلى تأسيس علم للأدب أساسه اللغة، باحثين عن أدبية الأدب، يقول "إيخنباوم" في هذا المقام:" إن كل ما تتميز به [أي الشّكلانية]، هو محاولتها إنشاء **علم مستقل للأدب**، مهمته دراسة المادة **الأدبية** بالمعنى الدقيق للكلمة، والسؤال بالتالي فيها ليس كيف يدرس الأدب؟....وإنما هو ما هي(الماهية) الفعلية لموضوع بحث الدراسة **الأدبية**".

هذا العلم إذن يعنى بالأدب كله، شعرا ونثرا، أو بعبارة تدوروف "يعنى بتلك الخصائص المجردة التي تصنع فرادة الحدث الأدبي أي **الأدبية**"، ومن هنا كان هدف الشكلانيين هو إقامة علم للأدب بكل تصنيفاته الشعرية والنثرية، أي العناية بدراسة خصائص الأدب (الأدبية)، أو السمات التي تجعل من المقول أو الملفوظ أدبا.

وقد مرت الشعرية في تاريخها الحديث بثلاث سيرورات تاريخية: البعد اللساني مع رومان جاكبسون ومفهوم الوظيفة الشعرية بوصفها وظيفة من وظائف اللغة، والبعد البلاغي مع جون كوهن ومفهوم الانزياح بوصفه حدا

فاصلا بين الشعرية واللاشعرية. والبعد النقدي عند تودروف بوصفه محددا جوهريا في الفرق بين العلم والتأويل .